

التقريب التداولي للتراث من منظوره عبد الرحمان

Rounding deliberative of heritage according to Taha Abd Errahmane perspective

ياسمينه عبد السلام

جامعة محمد خيضر بسكرة (الجزائر)

yassmina.abdessalam@univbiskra.dz

أسماء جعلاب *

جامعة محمد خيضر بسكرة (الجزائر)
مخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة
ومناهجها.

asmaa.djaalab@univ-biskra.dz

المعلومات المقال	الملخص:
تاريخ الإرسال: 2022 / 01 / 22 تاريخ القبول: 2022 / 04 / 16	نحاول في هذه الورقة البحثية التعرف على كيفية استثمار طه عبد الرحمن لآليات تقريب العلوم المنقولة من المجال اليوناني إلى مجال التداول الإسلامي وسنسلط الضوء على نموذج واحد من التقريب وهو التقريب اللغوي للمنطق عند ابن حزم بغية الكشف عن الآليات التي تجعله يوافق مقتضى التركيب اللغوي العربي محافظا على خصوصيات المجال التداول الإسلامي.
الكلمات المفتاحية: ✓ المنطق ✓ التقريب ✓ التقريب اللغوي ✓ التقريب التداولي	
Article info	Abstract :
Received 22/01/2022 Accepted 16/04/2022	<i>This research paper attempts to identify how Taha Abd al-Rahman has invested in the mechanisms of approximation of science transferred from the Greek field to the field of Islamic deliberation. It will shed light on one model of approximation, which is the linguistic approximation of logic according to Ibn Hazm, in order to reveal the mechanisms that make it conform to the requirement of the Arabic linguistic structure, preserving the peculiarities of the field of Islamic deliberation..</i>
Keywords: ✓ Logic ✓ Approximation ✓ linguistic approximation ✓ approximationdelierative	

تعتبر المحددات التداولية (العقيدة، اللغة والمعرفة) الطريق الملكي عند طه عبد الرحمن في بناء رؤية تكاملية للتراث العربي الاسلامي، فهو ينظر إلى التراث كوحدة كلية متكاملة تجمع بين مناهج وآليات ومصطلحات التراث العربي الاسلامي، وقد جعل منها طه علما له منهجه وتصوراتته تحمل طابعا عربيا خاصا بها وأطلق عليه اسم التقريب التداولي للتراث العربي الإسلامي لما سجله طه من عجز الباحثين العرب عن انتاج علم عربي خالص ولجوئهم الى التقليد المحض للفكر الغربي فهذا ما أثار الدهشة والحيرة في نفس طه فعمل جاهدا على تأسيس مشروعه الفكري الذي يلزم على دراسة التراث بأدوات انتاجه وليس بأدوات انتاج تراث آخر، ويُنقد بحسب الأدوات التي استخدمها في انتاجه، يقوم المشروع الفكري لطله على منحج خاص بدراسة التراث العربي يفصح عن تجديد وتقويم التراث العربي الإسلامي حيث يقوم هذا المنهج على دعامة أطلق عليها طه اسم "المجال التداولي" مشتغلا بألية التقريب اللغوي وتستند هذه الأداة التقييمية إلى المحددات التداولية الثلاثة (اللغة والعقيدة والمعرفة) كمناط لتقريب العلوم المنقولة إلى مجال التداول الإسلامي معتنيا بعلمي المنطق والأخلاق ومقربا لهما وفق ما ترتضيه القواعد التداولية، وقد اختص المجال التداولي بمبدأين أولهما (التداخل المعرفي) وثانيهما (التقريب التداولي)، فمن هنا جاءت أهمية البحث في الكشف عن الخيط المنهجي الناظم لمشروع طه في تقريب العلوم وقد أقتصر بحثنا هذا على الوقوف على هاجس التقريب (علم المنطق) وفقا لما يقتضيه المحدد الأول من المحددات التداولية ملتزمين بنموذج واحد للتقريب وهو التقريب اللغوي عند أحد المقربين للتراث وهو ابن حزم وفق ما جاء في كتب طه عبد الرحمن، من خلال الإجابة على الاشكال التالي: ما المقصود بالتقريب التداولي عند طه عبد الرحمن؟ وما هي معالم التقريب اللغوي للمنطق عند ابن حزم؟

2. مسيرة الدكتور طه عبد الرحمن:

إن المتتبع لنصوص طه عبد الرحمان يلمح جهدا غير مسبوق يجمع بين الصرامة المنطقية والبنائية الاستدلالية، وبين الجمالية اللغوية والروح الشعاعية (عبد الرحمن، الحوار أفقا للفكر، 2013، صفحة 16)، وقبل الولوج إلى خبايا فكره والوقوف على إسهاماته في الفكر العربي نتساءل من هو طه عبد الرحمان؟

البروفيسور طه عبد الرحمان ابن مدينة الجديدة* ولد سنة 1944، وبها تلقى تعليمه الأول، كان والده فقيها يدرس القرآن الكريم وبعض متون العلم، وهذا مكن طه عبد الرحمان من الاطلاع على مداخل العلوم الشرعية منذ صغره، والتشبع بثقافة تجمع بين الروحيات والفقهيات (الربيع، 2019، صفحة 11). بدأ حياته بكتابة الشعر فيقول عن نفسه: "حقا لقد بدأت حياتي الفكرية الأولى بتعاطي الشعر منذ سن مبكرة، وواصلت ممارستي للشعر إلى السنة الثانية والعشرين من عمري، وكتبت قصائد أثارت الاهتمام

وكان النقد لها إيجابيا، ولكن ما لبث أن تقرر عندي أن أتوقف عن كتابة الشعر لأسباب مختلفة (عبد الرحمن، 2013، صفحة 17). فطه عبد الرحمان كان محبا ومتذوقا للجمال منذ صغره وهذا ما يبرزه حبه للشعر وتعاطيه لكتابته، وفي هذا السياق يرى الربيع حمو "أن اهتمام طه عبد الرحمان بالشعر وتذوقه للجمال لم يكن في مستوى الشكل الظاهر فقط بل اشتمل جوانب الجمال الخفي وجمال المعنى"، غير أن هذا المسار الشعري الأدبي سيتوقف في وقت مبكر (الربيع، 2019، صفحة 12). من الأسباب التي دفعت طه عبد الرحمان إلى النهوض بالفكر الفلسفي العربي أنه عاش بداية مساره العلمي في سياق عرف محاولات إقامة فلسفة عربية وإسلامية وسط تنازع بين مدارس إيديولوجية مختلفة وشيوعية وليبيرالية، ومن هنا فإن المرجعية الفكرية الفلسفية التي كانت سائدة هي مرجعية غربية.

تلك المرجعية ظلت تعكس أصداء الفكر العربي خصوصا المدرسة الفلسفية الفرنسية، فكانت تقرأ الفلسفة الألمانية من خلال الترجمات الفرنسية واستشكالات الفلاسفة الفرنسيين (الربيع، 2019، صفحة 15)، بالإضافة إلى اهتمام الفلاسفة المغاربة وتأثرهم الواضح بالحدائث فكريا وسوا جهدا واضحا في ترجمتها وتبني أفكارها. وهذا لم يمنع طه عبد الرحمان من ذلك أيضا فقد

أقر طه عبد الرحمان إعجابه بالتجربة المنطقية ل:لودفيغ فنغشتاين* الفيلسوف النمساوي الشهير والمؤسس لمدرسة منطقية في جامعة كامبردج في بريطانيا(عبد الرحمن، 2006، صفحة 77) لكنه حقيقة انشغل بفكرة جوهرية تتعلق بمعاينة انعدام الإبداع الفلسفي في الثقافة العربية حاول من خلالها الوقوف على أسباب غياب الإبداع في الفكر الفلسفي العربي والبحث عن الآليات التي تجعل العقل العربي يبدع.

فانطلق من " سؤال هو: كيف نمكن المتفلسف العربي من تحصيل الطاقة على الإبداع؟ حتى ملك هم الإبداع عليه أمره فذهب بتجنب التقليد سواء أكان سلفيا أم حديثا كل مذهب"(عبد الرحمن، 2013، صفحة 16). ومن المؤكد أن النهوض بالفكر الفلسفي العربي يقودنا لا محالة إلى العودة إلى التراث الإسلامي، واستقراء جهود مفكره، وهو منطلق طه عبد الرحمان الذي كان له تأثير واضح وكبير بالمفكرين العرب القدامى.

حيث يعتبر بعض الباحثين فكره استثناء لفلسفة إسلامية دشنها الغزالي وابن تيمية، ونجد إرهاباتها في نقد الفكر الفلسفي اليوناني خصوصا مع دعاة الخصوصية اللغوية وعلى رأسهم أبو حيان التوحيدي" (الربيع، 2019، صفحة 13) فمن المفكرين الذين تأثر بهم طه عبد الرحمان تأثرا بارزا نجد الإمام أبا حامد الغزالي فتأثر به في التجربة الروحية والاشتغال بالمنطق وعلم الأصول وعلم الكلام، لكنه انتقده في جوانب معينة.

تأثر طه عبد الرحمان بأبي حامد الغزالي هو تأثير واع ومبدع حيث لم ينحسب عنده كما وقع للآخرين. فقد كانت الكثير من القواسم تجمع بين الدكتور طه والإمام الغزالي مثل، فإن طه قد انتقد بلطف تعلق الغزالي بالمنطق الأرسطي (الربيع، 2019، صفحة 14).

ويعد ابن خلدون من المفكرين الذين كان لهم نصيب من فكر طه عبد الرحمان وقد أفاد طه منه إفادة متميزة في جوانب عديدة " إذ تجاوزت الجانب المضموني إلى الجانب المنهجي خصوصا في جانبه الاستدلالي" (الربيع، 2019، صفحة 14) كما تأثر بفلاسفة عصره أساتذة وزملاء في الجامعة فكان لهم تأثير في مساره ومنهم الفيلسوف المغربي عزيز لحبابي وعلي سامي النشار، وقد أشاد هذا الأخير بألمعية طه عبد الرحمان في مرحلة دراسته الجامعية، وتنبأ بما سيكون لبحثه من تأثير في الفكر العربي، كما يذكر طه تأثيره بعلال الفاسي الذي جمع بين الجدة والأصالة" (الربيع، 2019، صفحة 13).

وقد شغلت مسألة العقلانية وطرائق التعبير عن الذات طه عبد الرحمان، وكان من المختصين فيها، وشغله هم الحداثة وما ترتكبه على المجتمع الإسلامي فكتب روح الحداثة. وقد شرح عبد الرحمان طه أهدافه الفكرية في ندوة حوارية أقيمت على شرفه في إحدى المؤسسات الفكرية في بيروت (أردت في حياتي أن أجتهد ولا أقلد، ولو كان اجتهادي غير مصيب، وأريد بلا شك أن أجيب عن سؤاليين يدوران في خلد كل واحد منكم، لم كتبت ما كتبت على الوجه الذي كتبت؟) (الربيع، 2019، صفحة 13).

1.2 جهود طه عبد الرحمان الفكرية: لطه عبد الرحمان جهود بارزة بثها في كتبه العديدة، والتي حاول من خلالها بث أطروحته الفكرية، وآرائه الفلسفية، محاولا بذلك رسم معالم فكر فلسفي عربي بحت بعيدا عن التقليد والتبعية للفكر الغربي جاعلا من التراث العربي مرتكزا له. ومن أطروحته الفكرية نجد:

*فقه الفلسفة: يعد أحد الشبكات المفاهيمية والآليات المعرفية التي يقرأ بها طه عبد الرحمان الفلسفة، فهو لا ينظر إليها بوصفها قولاً فقط، وإنما قول مقرون بالفعل و خطاب متصل بالسلوك " يكون أخرى بالفلسفة أن يقال فيها إنها العمل بالعقل من أن يقال فيها إنها العلم بالعقل، بناء على أنه لا عمل بغير عالم، وأن العلم قد يكون بغير عمل" (مشروح، 2009، صفحة 11) فطه عبد الرحمان في تحديده لطبيعة الفلسفة يعدها اجتهادا وإبداعا في النقد، ولا ينبغي أن تنقل من فكر إلى فكر آخر لأن ذلك يتنافى مع طبيعة الإبداع فيها.

ومن هنا فهو يعتبر " الفلسفة العربية إلى يومنا هذا لا تزال ترتب ضمن الفلسفة المقلدة، بل ليست في اعتقادنا فلسفة، بل إنها نقيض الفلسفة لأن التقليد يناقض الفلسفة" (عبدالرحمن، 2008، صفحة 14).

وفي هذا السياق يطلب طه عبد الرحمان في فقه الفلسفة تحرير القول الفلسفي من التبعية والتقليد، ويؤكد أن الغاية من ذلك هو " تحقيق الإبداع الفلسفي المنشود بإنتاج فلسفة عربية أصيلة" (عبد الرحمن، 2013، صفحة 145).

ويعتبر مشروع تجديد الفكر الإسلامي العربي للدكتور طه عبد الرحمان من أهم المشاريع الفكرية العربية المعاصرة التي تسعى سعياً جاداً وأصيلاً إلى بناء مقومات الإبداع والتجديد عن طريق التحرر من برائن التقليد. فيقول: " إذ يكون بإمكاننا خرق حجاب التقليد الذي ظل مستبداً بالعقل الفلسفي العربي بما ينيف عن ألف سنة وتمكين المتفلسف العربي من القدرة على التصرف في المنقول الفلسفي على الوجه الذي يوافق مجاله العربي أو اختياره الفكري" (مشروح، 2009، صفحة 14).

فمشروع طه عبد الرحمان إذن هو مشروع الإبداع الفلسفي العربي الذي يطمح بكل قواه الإدراكية والحسية والذوقية إلى توطین أصوله الفلسفية وفروعه المعرفية وملاحم النظرية لكل مجتهد أراد الاجتهاد والإبداع في ميدانه ومجال اشتغاله (عبدالرحمن، 2008، صفحة 23).

*تأسيس الحداثة الإسلامية: خصص طه عبد الرحمان لمفهوم الحداثة هذا المفهوم المنقول الذي يمارس حضوره في الدرس الفلسفي العربي كتابين رئيسيين كتاب (سؤال الأخلاق: مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية) وكتاب (روح الحداثة، المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية) الذي أصدره 2006، وقصد من خلال منهجه النقدي التفكيكي أن يكشف عن الآفات الخلقية التي أدخلت عليه لتجديد مسلك المجتمع المسلم في التحديث، بغية إعادة إبداع هذا المفهوم وتأصيله، فهو يرى ضرورة وجود حداثة إسلامية مثلما توجد حداثة غير إسلامية (بن عدي، 2012، صفحة 17).

وقدم طه عبد الرحمان موقفه الداعي إلى تأسيس حداثة إسلامية لها مظاهرها الخلاقة، وأثارها الفعالة في الواقع، وهو يؤسس هذه الدعوى بناء على تفريقه بين (واقع الحداثة) و (روح الحداثة). فدعا إلى تأسيس حداثة ذات توجه معنوي بديلة عن الحداثة ذات التوجه المادي التي يعرفها المجتمع الغربي (لعقروز، 2009، صفحة 40). وهذه دعوة ليس كما يتوهم البعض استبطاناً لنزعة الثأر الحضاري وردة الفعل التي لا تكون في مستوى الفعل، بل هي إعادة إبداع منقول فلسفي بالوقوف على أسبابه وإعادة إنتاجه، وكلتا الحالتين تدلان على نهوض الهمة إلى الإبداع (عبد الرحمن، 2006، صفحة 16).

إن الهدف الثاني الذي كان يسعى إليه طه عبد الرحمان إلى تحقيقه هو طموحه لدفع اليقظة الدينية وترشيدها ومشروع طه عبد الرحمان يختلف اختلافاً جوهرياً عن الكتابات الإسلامية الرائجة الساعية إلى تجديد الدين من ثلاثة أوجه محورية يجمعها السيد ولد أباه فيما يأتي:

-بناء المشروع على قاعدة فلسفية منطقية (بلعقروز، 2009، صفحة 40) صلبة عمادها اقتران النهضة الفكرية المطلوبة بالبناء العقلاني الصارم المتسلح بالأدوات والآليات الخاصة بالفلسفات والعلوم التأويلية المعاصرة واستيعابها داخل المجال التداولي العربي الإسلامي.

-تجذر المشروع الفكري في التجربة الصوفية المصوغة بالطرائق العقلانية الدقيقة.

-العزوف الجلي عن الشأن السياسي وعده عائقاً محيطاً، ومقتضى ثانوي في شروط النهضة المطلوبة

*التكوثر العقلي: إن العقل عند طه عبد الرحمان فعل وليس ذاتاً، وهو ما يعني تنوعاً وتعددية واختلافية العقل بحسب تعدد سياقاته التداولية (العقل المجرد، العقل المسدد، العقل المؤيد) ويطلق طه عبد الرحمان على هذه النظرية اسم التكوثر العقلي الذي يعني تعدد مراتب العقل ومقاماته وصيغته وهي:

*العقل المجرد: هو عقل يمثل المستوى الأدنى من المعقولية التي تتجاوز الوظائف الإدراكية الأدائية.

*العقل المسدد: هو عقل ملتزم بضوابط الشرع بقصد المنفعة ودفع المضرة.

*العقل المؤيد: هو عقل يوصل إلى معرفة أعيان الأشياء عن طريق التجربة الصوفية الثرية (عبد الرحمن، العمل الديني وتجديد العقل، 1997، صفحة 11).

و التكوثر العقلي هي دعوى بلورها طه عبد الرحمان في كتابه (اللسان والميزان) بين فيها اشتغال العقل في مضامير منطقية ولسانية ورياضية وبلاغية وأصولية وفلسفية. ومفاد الدعوى تأكيد حقيقة العقل الكامنة في كونه نشاطا وفاعلية وليس ذاتا أو جوهرًا قائما في النفس حسب زعم الأقدمين. "واعتبر الدليل هو العمدة والأصل الجامع بين العلوم التي ينشط فيها العقل طلبا للحقيقة" (عبد الرحمن، 1997، صفحة 11).

*دعوى تجديد المنهج لفهم التراث: من المعلوم أن رؤية طه عبد الرحمان للتراث تتمركز -كما قلنا أنفا- على التوجه الآلي والتوجه الشمولي. أما التوجه الآلي فهو يتعلق بالوسائل والأدوات الإنتاجية التي أسهمت بقوة واضحة في تكاثر مضامين التراث وتنوعه وتعدده المعرفي والمنهجي، وأما التوجه الشمولي فهو التصور الذي ينطلق من اعتبار أن التراث كتلة واحدة منسجمة ومتكاملة (مشروح، 2009، صفحة 16).

اعتبر طه عبد الرحمان أن منظوره الجديد لفهم التراث يشكل منقلبا جديدا على وجهة نظر تكاملية، وانطوى على ثلاث محددات: -المحدد التداولي: وعده مظهرا من مظاهر الإنتاجية في التراث المفيدة أو لغة أو معرفة، وهذا المحدد يتجسد في قيود المجال التداولي.

-المحدد التداخلي: ومقتضاه اشتراك المعارف في التراث في مسائل إنتاج مضامينها بل ونقلها ونقدها.

-المحدد التقريبي: نابع من المحدد الأول، ومقتضاه أن يخضع كل منقول لتحويل يجرى عليه بمقتضى المحدد التداولي (عبد الرحمن، 2006، صفحة 87).

تتأسس منهجية الدكتور طه عبد الرحمان إذن على منحيين هما: المنحى التقويبي والمنحى التأسيسي ولعل من أولويات منهجية التأسيس لدى طه عبد الرحمان هو بيان مقومات أو مشروع الإبداع الفلسفي البديل، فالمجال التداولي يعتمد المحدد اللغوي باعتباره الوسيلة للتخاطب والتبليغ عن المقاصد والأغراض بهدف تحقيق الإفادة والإبداع والإقناع (مشروح، 2009، صفحة 18/17)، وأما المحرك العقدي فهو المحرك الأساس للأمة التي لها حق الاختصاص بالخاتمية، ويعد المحدد العقدي السر في النهوض بالأمم والحضارات، وارتقاءها أرفع المراتب المعيارية والمعنوية والمادية.

أما المحدد المعرفي الذي هو (جملة مضامين دلالية وطرق استدلالية تتوسع بها المدارك العقلية في أنفسهم، كما تنفتح بها آفاق العالم من حولهم، فلا تواصل ولا تفاعل في التراث إلا بالمعرفة المتوسلة باللغة والمبنية على العقيدة) (عبد الرحمن، 2008، صفحة 188).

*إبداع المفاهيم: يرى طه عبد الرحمان أن أغلب المؤلفات الفكرية وما ينجز من أبحاث فلسفية في البلاد العربية يدور حول نفس الإشكالات والاستدلالات والمسلمات والنظريات التي يتضمنها الفضاء الفلسفي العالمي مما يجعلها تقليدا لمحتويات هذا الفضاء. ما يجعله يمارس التطبيق من حيث لا يفقه، ولا يمكن الخلاص من هذا الوضع والنهوض بالفلسفة إلا بالتفكير فيما يخصنا من القضايا والإشكالات. فلا مفر إذن من أن نهض إلى التفلسف إلا بما يخص بنا لكي نحيا لا بما يخص بعدونا لكي نموت (عبد الرحمن، 2008، صفحة 17).

ويرى أن خطة التقييم التي تعتمدها القومية الفلسفية العربية تقتضي الجمع بين معنيين هما: إزالة الاعوجاج والتزود بالقيم ومضمون هذه الخطة يتلخص في العمل على منح المفاهيم الفلسفية أقصى قدر من الحركة داخل المجال التداولي العربي عن طريق وصلها بالقيم العملية النافعة، لأن أغلب القيم المنقولة من الحقل الفلسفي الغربي جامدة وغير نافعة كونها مجردة، ولا تتأسس على معطيات موضوعية ولو زعم أنها ذات بعد عالمي. ومن المفاهيم الفلسفية المنقولة من الفضاء الفلسفي العالمي التي

تتطلب - في نظر عبد الرحمان طه تقويم اعوجاجها مفهوم الحدائثة الذي دخل عليه هو الآخر فعل التهويد، والذي استعمل في الغالب مرادفا لمفهوم التنوير إلا أن المفهوم انتقل إلى مجال التداول العربي انتهى إلى جموده (عبد الرحمن، 2006، صفحة 66). *دعوى المنعطف اللغوي المنطقي: عد طه عبد الرحمان المهمة الأساسية الأولى للمفكر اللغوي العربي مهمة لغوية، فكانت المسألة اللغوية منطلق تفكيره ومبتدأ مشروعه فيقول: "إن رسالة المفكر العربي يجب أن تكون رسالة لغوية في منطلقها، وعلى الفيلسوف قبل أن يتجه باجتهاده إلى التوعية بقدرته لغته الفكرية أن يميز لغته عما ليس من لغته أو يتعارض ولغته عما هو لغو (....) وعلى الفيلسوف العربي أن يخلصنا من هذا اللغو الذي حال دون تحررنا العقلي ودون ابداعنا الفكري وبهذا تكون رسالة الفيلسوف العربي رسالة لغوية من منطلقه". (عبد الرحمن، 2006، صفحة 85).

3. التقريب التداولي عند طه عبد الرحمان: جاءت أهمية البحث في الكشف عن الخيط المنهجي الناظم لمشروع طه في تقريب العلوم وقد اقتصر بحثنا هذا بالوقوف على هاجس التقريب (علم المنطق) وفقا لما يقتضيه المحدد الأول من المحددات التداولية ملتزمين بنموذج واحد للتقريب وهو التقريب اللغوي عند أحد المقربين للتراث وهو ابن حزم وفق ما جاء في كتب طه عبد الرحمن، من خلال الإجابة على الإشكال التالي: ما المقصود بالتقريب التداولي عند طه عبد الرحمن؟ وما هي معالم التقريب اللغوي للمنطق عند ابن حزم؟

1.3. تعريف التقريب التداولي وأوصافه العامة:

يعد التقريب مفهوما علميا يحمل دلالة نقل تقني مخصوص للمعرفة، فهو ليسا نسخا محضا ولا دمجا محضا، وإنما اشتغال باستشكال المضامين والوظائف في كلا المجالين حتى تتحصل المعرفة الضرورية والكافية للدخول في الوصل بين عناصرها وعند حصول الوصل تختفي الفوارق بين المأصول والمنقول، بحيث تتسع المضامين والوظائف في كليهما (الفراخ، 2018، صفحة 23).
أ/ تعريف التقريب:

أما التقريب في المجال التداولي فيعرفه طه عبد الرحمن: "بأنه عملية تصحيح المنقول وفق القواعد التداولية الأصلية، ولا بد أن يخالف المنقول في خدمة المجال التداولي المنقول إليه، فلولا هذه المخالفة لما كان للمنقول جذر في المجال التداول الأصلي ولا أثمر في عالمه الجديد، وقد انتهج في تعريفه طريقة التمييز بالضد وبالضد تعرف الأشياء، فاستنتج من هذه المقارنة العمليات التي يختص بها التقريب وهي التشغيل والاختصار والتهوين، فالتشغيل هو تقريب الاعتقاد والاختصار هو تقريب للعبارة والتهوين هو تقريب الفكرة (جلال، 2017، صفحة 150).

فهو إذن وصل المتقضيات المعرفية والمنهجية بين طرفين أولهما: مصدر التقريب وهو المنقولات الأجنبية والثاني هو مقصد التقريب وهو المجال التداولي الأصلي (41)، والتي سلكها وينبغي أن يسلكها راغب في وصل المعرفة المنقولة الأصلية، أو جعل المنقول موصولا ومؤصلا وفق المقتضيات التداولية (بوشربة، صفحة 175).

ب/ أوصاف التقريب التداولي:

*التقريب غير التوفيق (همام، صفحة 15) يكمن الفرق بين التقريب والتوفيق في رأي طه عبد الرحمن في أن التقريب يشترط فيه وجود مجال تداولي أصلي، فلا وجود لتقريب من غير مجال أصلي يتخذ هذه العملية مقصدا ووسيلة معا، فيشترط أن نوصله بالقواعد المحددة للمجال التداولي، وهو عكس التوفيق الذي لا يشترط فيه الرجوع إلى مجال أصلي إلا بوجود التعارض، فلو أخذنا على سبيل المثال مفهوم "التيوس" في المجال اليوناني أو "الإله" في المجال الإسلامي (عبد الرحمن، 2006، صفحة 276/275/274)؛ فالقائل بالتوفيق عند فصل هذين المفهومين أو وصلهما لأتهما في رأيه ينتميان إلى المجال نفسه، أما القائل بالتقريب؛ فالمفهوم الأول "التيوس" مفهوم مستقل بنفسه له مجاله الخاص، والمفهوم الثاني "الإله" كذلك، فكلا المفهومين يختلفان عن غيرهما حيث خصوصيات مجال كل منهما، فالقيمة التأصيلية لمفهوم "التيوس" عند اليونان هي أنه المبدأ الأول في مراتب الوجود، بينما القيمة التأصيلية لمفهوم "الإله" عند المسلمين هو المستحق للعبادة دون سواه.

والقيمة التأصيلية اللغوية لمفهوم "التيوس" تدل على "السيار"؛ فهذا المفهوم يدل على عدة معانٍ فلسفية دخلت في تحديد معنى الألوهية بالمعنى الفلسفي وهي الحركة (الفلك)، (الكوكب)....، في حين القيمة التأصيلية لـ "الإله" هي "المعبود" وتربط بين معاني (الطاعة)، (الخضوع)، (العمل)؛ وهذه معانٍ تتحد في معنى الألوهية بالمعنى الإسلامي. أما القيمة التأصيلية المعرفية لمفهوم "التيوس" هي "الصانع"، بينما القيمة التأصيلية المعرفية لـ "الإله" هي أنه "الخالق"، وهناك فرق كبير بين القيمتين؛ فالصانع يصنع من شيء والخالق لا يخلق من شيء.

*التقريب غير التسهيل: يعرف طه عبد الرحمن التسهيل بأنه: "معنى استعمال الألفاظ اليسيرة البسيطة المشهورة التي يتساوى في إدراكها كافة الناس عالمهم وجاهلهم أي يكون مطابقاً لمعنى التبسيط" (عبد الرحمن، 2006، صفحة 276)، ويعرض الفرق بينه وبين مفهوم التقريب، وذلك أن التقريب لا يمكن أن يقتصر على طلب السهولة في التعبير؛ ذلك أن استناد التقريب إلى المجال التداولي يوجب تحري هذه السهولة لا في اللفظ المفرد أو المركب وحده، وإنما في جميع أصول هذا المجال التي تتعلق بها التقريب وهي اللغة والعقيدة والمعرفة بينما التسهيل بالعبرة وحدها في الممارسة الفلسفية، وأنه لا يمكن أن يكون التقريب طلباً للسهل من العبارة والسهل من الاعتقاد والسهل في الإدراك، بينما التسهيل هو طلب السهولة في التعبير؛ فلو عرضنا الغرض من التقريب هو طلب للسهل من العبارة فلزم أن يكون التعبير صعباً، لكن مدلول التعبير الصعب يكمن في أن القواعد النحوية العربية غير سليمة، بمعنى أن التقريب هو إعادة السلامة النحوية إلى العبارة فالسهل تعبيراً هو السليم تركيبياً، فالصعب تعبيراً هو المعتل في تركيبه وليس المعقد في ترتيبه، ففي عبارة

(الإنسان عادلاً بالوجود) هذه العبارة الفلسفية نسبت إلى التعقيد حيث توجد ركائز في نطقها وفي مقصودها، أما إذا انتقلت إلى صيغتها العربية السليمة وهي (الإنسان عادلاً) فكانت واضحة نطقاً ومقصوداً.

أما طلب السهل في الإدراك فهو ليس البسط من الأفكار؛ وإلا لزم أن يكون إخراج الفكرة من صورتها المعقدة إلى صورة سهلة. التقريب غير المقاربة: إن المقاربة في معناها اللغوي تعني الدنو، فمقاربة الشيء هي الدنو منه من غير التداخل معه، وضدها المطابقة، وفي معناها الاصطلاحي ترجع إلى إفادة معنيين هما (التوسط) و(الأشياء)، وتدلل على الخفاء الناتج عن الغموض والمستند إلى الظن، أما التقريب فهو الدنو المفضي إلى التطابق وهو يدل على التوسيع والمستند إلى اليقين (عبد الرحمن، 2006، صفحة 277).

وعليه فالتقريب التداولي ليس هو التوفيق الذي هو مقطوع عن المجال التداولي وهو "الفصل" الذي هو مجرد طريق تلفيقي من خلط ناتج عن الجهل وليس هو التسهيل الذي هو طلب الإدراك السهل وذلك برفع التعقيد الذي يتطرق إلى المضامين العلمية، وليس هو المقاربة حيث يستند إلى الظن؛ إنه مبدأ عام يقترن بمجال التداول الأصلي على خلاف التوفيق، فيطلب التصحيح التداولي على خلاف المقاربة. إذن فالتقريب هو وصل المعرفة المنقولة بباقي المعارف الأصلية أو جعل المنقول موصولاً. وهو حسب الباحث محمد همام: المقتضيات المعرفية والمنهجية التي سلكها وينبغي أن يسلكها كل راغب في وصل المعرفة المنقولة بباقي المعارف الأصلية أو جعل المنقول موصولاً وفق المقتضيات التداولية.

3.2 آليات التقريب التداولي: يميز طه عبد الرحمن بين ضربين من التقريب التداولي:

أ/ تقريب نظري: يتعلق بتصحيح العلوم النظرية المنقولة وتكييفها (تأويلًا وتصريفًا) مع محددات أو مقومات المجال التداولي.

ب/ تقريب يتعلق بتنقيح العلوم المنقولة وتوجيهها بمقتضى موجبات المجال التداولي.

حصر طه آليات التقريب الصورية في ست آليات وكلها تستخدم كل الطرق التي يتوسل بها في إنشاء الخطاب؛ فكل ما صلح لتوليد

الكلام الصحيح الموافق للمجال التداولي الأصلي يصلح أيضاً لتقريب الكلام المنقول وهذه الآليات الستة هي:

1-آلية الإضافة: يتم التوافق بين المنقول والمجال التداول الأصلي عبر هذه الآلية.

2-آلية الحذف: فما يميز طريق عمل هذه الآلية هو اسقاط جزء من المنقول إذا ثبتت مصادمته مقتضيات المجال التداولي؛ أو يخل بتحصيل اليقين من المعارف.

3-آلية الابدال: تفيد هذه الآلية باستبدال الأمثلة من الفقه وعلم الأصول وعلم الكلام والأدب مكان الأمثلة اليونانية لمنع غرابتها.

4-آلية القلب: تقوم هذه الآلية بتغيير أوضاع العناصر في المنقول تقديمًا وتأخيرًا حتى يتناسب ومقتضيات التقريب التداولي.

5-آلية التفريق: ومفادها أن يفرق بين اللفظ المنقول إلى وصفين متمايزين ليقوم المقرب بالاحتفاظ بما يوافق مع أصول المجال التداولي وصرف كل ما هو مخالف لها.

6-آلية المقابلة: تفيد هذه الآلية أن تؤتى المعاني والألفاظ بما يقابل المنقول إن موافقة نقلت إليه أو صاف المنقول ومخالفة نقلت إليه نقائص هذه الأوصاف.

ويضرب طه عبد الرحمن أمثلة لكيفية عمل هذه الآليات أحدهما يختص بتحول وظيفة المنطق، والثاني يتعلق بالتحول الذي حصل في مضمون الفلسفة، حيث يعلق على تحول وظيفة المنطق أن وظيفة المنطق في السياق اليوناني كانت وظيفة معرفية نظرية إنتاجية، أما عند تحولها إلى السياق الإسلامي تصبح وظيفة معرفية عملية توجيهية، ويتبين هذا من خلال وجهين هما: اتساع وظيفة المنطق التمييزية، واتساع وظيفته الترتيبية. فاتساع وظيفة المنطق التمييزية تستند إلى التمييز بين الخير والشر في الأحكام الأخلاقية وبين الحق والباطل في الأحكام العقائدية.

ويؤكد طه هذا التعريف الذي أورده التهانوي في كشاف الاصطلاحات الفنون بقوله: (اعلم أن الغرض من المنطق التمييز بين الصدق والكذب في الأقوال والخير والشر في الأفعال والحق والباطل في الاعتقادات) (عبد الرحمن، 2006، صفحة 278).

أما اتساع وظيفة المنطق الترتيبية؛ فيحصل هذا الاتساع الترتيبي بآليات خطابية تخرج هذه الوظيفة عن أوصافها المقررة في المجال اليوناني إلى المجال التداولي الإسلامي بعد أن كانت تقتصر على ترتيب القوانين الاستدلالية للأحكام الوجودية أصبحت تطلب أيضا ترتيب القوانين الاستدلالية للأحكام المعيارية أو التقويمية لاسيما الأحكام الفقهية الشرعية ويتم هذا الترتيب المنطقي للأحكام بالتوسل إلى الآليات الثلاث الآتية (عبد الرحمن، 2006، صفحة 282):

1-آلية الإبدال: أفادت هذه الآلية في صوغ الاستدلالات الفقهية التي تعتمد القياس الأصولي على مقتضى الأقيسة المنطقية بالتزام أشكالها وضروبها وفي إحلال هذه الصياغة المنطقية الجديدة مكان الصيغة الأصولية المقررة.

2-آلية المقابلة: استخدمت هذه الآلية في إقامة تشاكل بين الجهات الشرعية وهي الوجوب والإباحة والحظر، وبين الجهات الوجودية وهي: الضرورة والإمكان والامتناع، وفي نقل قوانين العلاقات التي تجمع بين الجهات الوجودية إلى نظائرها في الجهات الشرعية.

3-آلية الإضافة: أفادت في زيادة أبواب خالصة في أصول الفقه كباب (الدليل المأخوذ من النص)، الذي جعله ابن حزم مصدرا من مصادر التشريع.

وإلى جانب هذه الآليات استثمرت آلية أخرى تسمى بآلية التخصيص في التقريب التداولي حولت مضمون الفلسفة الأصلي في المجال اليوناني والذي كان يلتزم بالنظر العقلي إلى المضمون العلمي في المجال الإسلامي؛ أي من قصر الفلسفة على العلم الإلهي وهو: "العلم بالموجود الحق هو العلة الأولى بجميع الموجودات" إلى الممارسة التراثية (عبد الرحمن، 2006، صفحة 237) "العلم بالموجود الحق الذي هو العلة الأولى بجميع الموجودات، والثاني هو وصل الفلسفة بعلم الكلام؛ فيصير تعريف الفلسفة (العلم بالصانع من حيث دلالة المصنوعات عليه). (همام، صفحة 15).

ولتصبح الفلسفة من خلال آلية القلب وخلفية أخلاقية ووجودية تداولية هي "استكمال النفس الإنسانية" ليستقر مضمونها التداولي التام باستثمار آلية الحذف وبخلفية أخلاقية شرعية على مكارم الأخلاق وإصلاح النفس في توافق تام مع الشريعة (مشروح، 2009، صفحة 168).

فاستخدام طه عبد الرحمن للمنطق في رأيه يكون في الترتيب والتركيب والتنظير فلا تعلق له بصحة العقيدة أو فسادها، وينقل لنا نظرة الامام الغزالي إلى حقيقة المنطق؛ أن المنطق في حد ذاته بريء من "الزندقة" خلافا لمقولة (من تمنطق تزندق) (عبد الرحمن، 2006، صفحة 291/290)، فيرى طه أن التزندق فيمن وظف المنطق توظيفاً غرضه مخالفة الشرع الإسلامي. وردا على إساءة فهم عمليات التقريب ووصفها بالتحريف والتزييف أكد طه أن المجال التداولي يحيط بالإنسان من كل جانب، وأن قطعه عنه يشوش عليه مداركه ويضيق مناشطه وإذا لم يستوف شرائط هذا المجال، فإنه يبقى لا محالة على حال التشويش والتضييق، فالتحريف في رأيه ليس في التصرف في المنقول والتزييف على الأصح هو في تقريب المنقول إليه إلى المجال غير الأصلي، فكل من يدعو إلى حفظ المنقول فهو يدعو إلى حفظ إفساده لهذا حدد طه ضروب الإخلال بشرائط التقريب التداولي وهي كالتالي: شرط التصحيح التداولي وشرط التداول الأصلي وشرط اليقين التداولي (عبد الرحمن، 2006، صفحة 292).

يفصل طه عبد الرحمن في شروط التقريب ويلزم المقرب استيفاء كل شرائط التقريب وهي التداول الأصلي والتصحيح التداولي واليقين التداولي، فيعتبر أن شرط اليقين التداولي أخص الشروط المذكورة ونصه كالآتي: (لا قواعد تداولية أصلية بغير يقين)؛ فينبغي التوسل بالقواعد العقدية تحصيل اليقين في مضمونها العقدي ومضمونها اللغوي وأيضا لا يكفي في التهوين التوسل بالقواعد التداولية المعرفية وتحصيل اليقين في مضمونها المعرفي، حيث كل تقريب يقيني هو نقل تصحيحي أصلي وليس كل نقل تصحيحي أصل تقريبا يقينيا ويطلق على هذا النوع من الإخلال بالتقريب القلق..

أما أوسط هذه الشرائط هو "التداول الأصلي"، (فلا تصحيح بغير قواعد المجال التداول الأصلي)؛ فلا بد لهذا الشرط أن يلتزم بقواعد الأصل العقدي الثلاث والتي تتمثل في قاعدة الاختيار وقاعدة الاعتبار وقاعدة الائتمار، أما قواعد الأصل اللغوي فهي قاعدة الإعجاز وقاعدة الإنجاز وقاعدة الإيجاز، أما قواعد الأصل الثالث وهو الأصل المعرفي فتتمثل قواعده في قاعدة الاتساع وقاعدة الانتفاع وقاعدة الاتباع، وهو ضربان من الإخلال: أحدهما يخل بالتداول الأصلي مع اليقين فيغيره فنسميه بـ "التقريب المعكوس" والآخر يخل بالتداول الأصلي مع عدم اليقين في غيره ونسميه بـ "التقريب المعكوس" (عبد الرحمن، 2006، صفحة 293)، ونوضح هذا أكثر بالمخطط التالي:



وأعم هذه الشرائط هو "شرط التصحيح التداولي" ونصه هو (لا تقريب بغير تصحيح)؛ فالتقريب لابد أن يدخل في تقويم المنقول العقدي وتقويم المنقول اللغوي والتقديم المعرفي وإزالة الانحراف والغموض عنهم، والإخلال بهذا الشرط في نظر طه يتمثل في أربع صيغ؛ فالإخلال بالتصحيح مع حفظ التداول الأصلي واليقين فيه يسمى (النقل المقلد)؛ فيعتقد الناقل هنا أن

المجالات التداولية وإن اختلفت فيما بينها فلا تأثير كبير لها في التعبير ولا في التفكير ولا في الاعتقاد، كما في اعتقاده أن المعارف سواء تعلق بالدين أو باللغة أو بالعلم ونقلها لا يحدث قلقا ولا يقتضي تقويما لها كما وقع في هذا المزلق فلاسفة الإسلام وذوي النزعة العقلانية، وثانيتها (النقل المستلب) (عبد الرحمن، 2006، صفحة 294)؛ فلامبالاة عند الناقل في فقد اليقين في حفظ التداول الأصلي عند الناقل، وحجته في ذلك أن ثقته بالمنقول لا يجوز أن تقل عن ثقته بالقواعد التداولية غير الأصلية التي يتولد عنها.

و (النقل المعصب)؛ فهو إخلال بالتصحيح مع فقد حفظ التداول الأصلي وحفظ اليقين في غيره؛ فالناقل هنا لا يفصل القواعد التداولية عن المجال المنقول منه ويصلها بالمجال الأصلي المنقول إليه. أما (النقل المستهتر)؛ فهو الإخلال بالتصحيح مع فقد التداول الأصلي وفقد اليقين في غيره، فكل هم هذا النقل هو نقل ما حصله الغير من المضامين والوسائل المكتسبة وإن تبدلت. وعليه فكل ضرب من ضروب الإخلال بشرائط قواعد التداول الأصلي ينتج عنها آفات لغوية ووظيفية، نجد أن طه قد رتبها حسب معايير وترتيب الوظائف التداولية (عبد الرحمن، 2006، صفحة 294)، ونوضحها أكثر بالمعادلات التالية:

النقل المقلد = إخلال بالتصحيح + حفظ التداول الأصلي + اليقين فيه.

النقل المستلب = إخلال بالتصحيح + فقد اليقين في غيره.

النقل المتعصب = إخلال بالتصحيح + فقد حفظ التداول الأصلي + حفظ اليقين في غيره.

النقل المستهتر = إخلال بالتصحيح + فقد التداول الأصلي + فقد اليقين في غيره.

وينتج عن خرم ضروب التقريب الفاسدة الآفات الوظيفية الآتية:



يقول طه عبد الرحمن في هذا الصدد: (إذا نحن تأملنا في الممارسة التراثية لوجدنا فيها أيضا أمثلة للضروب الفاسدة من القريب ولآثار الآفات الناشئة عنها) (همام، صفحة 23)؛ فقد استخرج مثلا للتقريب المعكوس، ويتعلق هذا المثال باستخدام المقولات النحوية اليونانية في تصحيح المقولات النحوية العربية، فاكتمى طه بتقديم تحليل نموذج تقريبي معكوس في كتاب "الألفاظ المستعملة في المنطق" للفارابي، حيث جاء حديث الفارابي حول الدرس المنطقي في الثقافة العربية حافلا بالأغاليط والأخطاء والاختلالات (عبد الرحمن، 2011، صفحة 61)، حيث قام بتغيير التقسيم العربي الأصلي لأصناف الحروف مثل إدخاله في الحواشي ما هو ليس حرفا كـ "ليس" وهي عند العرب "فعل" و "ليت شعري" عندهم جملة مركبة، فانتقد طه عبد الرحمن هذا النموذج واعتبره خروجاً عن قواعد مجال التداول الأصلي.

4. الممارسة التقريبية للمنطق عند ابن حزم:

1.1 الوصف التجريدي للمنطق والأسباب المناهضة لتقريبه: انطلاقاً من اتصاف المنطق اليوناني بالصبغة التجريدية في موضوعه وفي منهجه؛ فالمنطق اليوناني يبني آليات (الاستدلالية) بناءً مستقلاً عن الواقع الفكري الحسي، صرف طه عبد الرحمن نظره عن هذه الصفة التجريدية الجامدة واعتبر إخضاعه للتقريب التداولي أمراً لازماً بناءً على أن مجال التداول الإسلامي لا يقبل هذه الصفة التجريدية.

فالتبيعة التوجيهية لمجال التداول الإسلامي العربي لا يقبل النظر العملي الذي لا تكون من ورائه منفعة سواء ذاتية أم للغير؛ فهي قائمة على "العمل المتعدي المتصل" (عبد الرحمن، 2006، صفحة 297) باصطلاح طه وهو العمل الذي يجاوز منفعة الذات إلى منفعة الغير ويجاوز منفعة العاجل إلى منفعة الأجل، والذي يوجد في طور التطبيق الذي يليه.

وبناءً على طبيعة التسديد لمجال التداول الأصلي الإسلامي خضع علم المنطق إلى عملية التقريب وهي عملية بالغة التعقيد وطويلة التنفيذ وفقاً لقواعد أصول المجال التداولي الثلاث: اللغة والعقيدة والمعرفة تحت آليات تختلف باختلاف هذه الأصول، والعمل في التقريب اللغوي يصطلح عليه بـ: "الاستعمال"، والعمل في التقريب العقدي يسمى بـ "الاشتغال" والعمل في الأصل الثالث يسمى بـ "الإعمال".

وعلى هذا صاغ طه الدعوى الخاصة بالتقريب التداولي للمنطق ونصها كالآتي: (إذا صح أن مناهضة المنقول المنطقي في مجال التداول الإسلامي العربي ترجع إلى تغلغله في التجريد صح كذلك أن الاشتغال بتقريب هذا المنقول استوجب تغطية وصفه التجريدي بوصف تسديدي بناءً على أن التسديد يزوده بسند عملي يختلف باختلاف أصول هذا المجال التداولي الأصلي) (عبد الرحمن، 2006، صفحة 300).

ولعل من الأسباب التداولية المناهضة للمنطق وتمسك المسلمين بمبادئ المنطق ومسائله لم يكن طوعياً (عبد الرحمن، 2006، صفحة 300)، بالرغم من كثرتهم وتنوع اختصاصاتهم فقد لقي هذا العلم والمشتغلين عليه معارضة شديدة من قبل اللغويين المحدثين والفقهاء والأصوليين والمتكلمين أيضاً، لأنهم اعتبروا أن المنطق خروجاً عن السليقة.

ومما لاشك فيه أن العقل اللغوي العربي قد انتبه إلى إخلال المنطق اليوناني المنقول بمقتضى آليات التقريب اللغوي وفقاً لقواعده التداولية الثلاث: قاعدة الإعجاز وقاعدة الإنجاز وقاعدة الإيجاز؛ فالإخلال بقاعدة الإعجاز حسب طه جاء نصها كالآتي ((سَلِّمْ بأن اللسان العربي استعمل في القرآن الكريم بوجوه من التأليف وطرق في الخطاب يعجز الناطقون عن الإتيان بمثلها عجزاً دائماً) (همام، صفحة 24)؛ أي التسليم باستحالة الإتيان بمثل ألفاظ اللسان العربي وفرادة نظمها، فالمنقول المنطقي كان يعد التركيب اللغوي تركيباً عقلياً منطقياً ويستبعد النحو الذي هو مرجع أصلي في المجال اللغوي التداولي الإسلامي والاقتصار على الصيغة الحملية الثلاثية ذات الأصل اليوناني (الموضوع والرابطة والمحمول)، وهذا مخالفاً للصيغة الفعلية في ممارسة التراثية اللغوية العربية، وبالتالي يتم الإخلال بقاعدة الإعجاز التي تفرقت بها أساليب البيان في اللسان العربي والتي تقرر الأفضلية التعبيرية له.

أما الإخلال بقاعدة الإنجاز فقد نصت على أن: ((لا تنشئ من الكلام إلا ما كان موافقاً لأساليب العرب في التعبير وجارياً على عاداتهم في التبليغ)) (عبد الرحمن، 2006، صفحة 304)؛ فحواها الالتزام بإنشاء الكلام وفقاً لأساليب العرب وعاداتهم في التبليغ، حيث كان المنطقيون يميلون إلى صوغ عباراتهم بطرق محررة على مقتضى أساليب التعبير المنطقي المنقول إليه فجاءت مخالفة لضوابط التبليغ العربي السليم فأدخلوا (أل) على الأدوات والظروف والضمائر وإلحاق النسبة المصدرية بها نحو (الهلية) و(الأينية) و(الماهية) و(الكيفية) و(الهوية) ... إلخ، وعلى الأفعال ك(الليسية)، واستعمال حروف الجر بوصفها أسماء مستقلة مع إدخال اسم الموصول (الذي) عليها كما في الصيغة (الذي له) (بن عدي، 2012، صفحة 72).

كما يتم استخدام بعض الأدوات في غير محلها الإعرابي فتفقد وظيفتها النحوية مثل: (هل) التي اعتبرها المنطقة تختص بالاستفهام عن وجود الشيء، وجوزوا استعمال تراكيبا ركيكة كالتراكيب التالية (هل الشيء؟) و(هل زيد؟)؛ فهم يوردون الرابطة الوجودية كثيرا في عباراتهم(عبد الرحمن، 2006، صفحة 312)، في حين أن الجملة العربية تستغني عنها، فهي نقيض لما قال به النحاة فلا دخول لها عندهم إلا على الإسناد، فهذا يعد خروجا عن المقتضى النحوي العربي وإخلالا بقاعدة الإنجاز التي تضبط الأصل اللغوي لمجال لتداول العربي والتي توجب أن يكون التعبير موافقا لأساليب العربية من صرفٍ وتركيبٍ وبيانٍ. والإخلال بقاعدة الإيجاز؛ ودعواه كالاتي: ((لا تنشئ من الكلام إلا ما كان مجاريا لأساليب العرب في التعبير وجاريا على عاداتهم في التبليغ)(عبد الرحمن، 2006، صفحة 314) ؛ أي أجز كلامك ولا تكثره وقل إلا ما كان مجاريا لأساليب اللسان العربي؛ فقد يؤدي الإخلال بهذه القاعدة بإدخال آليات المنطق الاستدلالية إلى تطويل عباراته، وتكلفوا وبعدها على المخاطب إدراك المقصود وأوردوا استدلالات مخلة من الوجهة التداولية (همام، صفحة 26)، في حين تقتضي القاعدة التداولية الاختصار والإيجاز أو ما يسمى بخاصية الطي"(عبد الرحمن، 2006، صفحة 255) ، فالخروج عنها ينتج أقوالا في غاية التكليف والتكثير بحيث تؤدي للبس الخطاب والغموض بين المتخاطبين.

وينتج عن خرم هذه القواعد اللغوية آفات وظيفية لغوية تضر بخصوصيات المجال التداولي الأصلي نوجزها في الجدول الآتي :

قواعد التداول اللغوي	وظيفتها	آفات	مظاهر الآفة
قاعدة الإعجاز	الإيهام	آفة التقصير	استعمال الجملة الخبرية حيث ينبغي استعمال الجملة الفعلية.
قاعدة الإيجاز	الإنتاج	آفة الاحتباس	استعمال المنطقي لألفاظ غير مطابقة لعناها الاصطلاحي فيؤدي به إلى التشويش في الفهم.
قاعدة الإنجاز	التوجيه	آفة اللغة	استعمال العبارات الطويلة وتكثير عناصرها.

2.3 آليات التقريب اللغوي في اختصار المنطق:

لقد بنى ابن حزم نموذجه التقريبي على الاختصار في تصحيح المنقول المنطقي وفق مقتضيات الأصل اللغوي العربي، فقد توسل ابن حزم في عملية التقريب بآليات لغوية ذكرها طه في كتابه "تجديد المنهج في تقويم التراث" وهي:

أولا: آلية تبيين المنطق:

ارتأى ابن حزم في تأسيسه للمنطق وفق المقتضى اللغوي العربي من خلال افتتاحه لخطابه التقريبي تخالف المعهود عند نقلة المنطق، فقد تمثلت هذه الصيغ في تمهيده للخطاب بالقرآن الكريم بغرض بيان أن تعريف المنطق موجود في القرآن الكريم كما هو موجود في النص الأرسطي، ومن الآيات البيئات التي أوردتها نخص بالذكر قوله تعالى: (الرحمن علم القرآن. خلقا لإنسان علمه البيان)الرحمن الآية 04، بالإضافة إلى أنه توسل بمشتقات مادة (ب.ي.ن) في تحديد موضوع المنطق(عبد الرحمن، 2006، صفحة 255) ، وذلك في مواضع مختلفة من المقدمة والتي تكررت في مواقع مختلفة فأورد لفظ (البيان)، (بان)، (تباين)، (أبان)، (استبانة)، (يبين).

كما جعل ابن حزم التمييز طريقاً لتحديد الفروق التمييزية في الأشياء وبيان وجوه التباين فيها فقد حدد لفظ "المنطق" كونه يدل على معنى "التمييز"، فيكون بذلك البيان عنده هو العلم الذي ينظر في المعقولات المميز فيها والمعبر عنها نطقاً أو إشارة، وقد جعله مراتب أربع وهي كالآتي: (عبد الرحمن، 2006، صفحة 317).

أ- بيان الوجود

ب- بيان العقل

ج- بيان الإشارة

د- بيان الصوت

فتعريف ابن حزم للبيان في نظر طه عبد الرحمن لا يختلف عن التعريف الموضوع للمنطق عند المشتغلين به إلا أنه يمتاز عنه في كونه يربط بين المعقولات المنظور فيها والوسائط التي يتوسل بها؛ فهو يجعل لفظ البيان مرادفاً للفظ "المنطق"؛ فيصبح مدلولهما واحداً فلا فرق بين أن يقال: (ظهر الإعجاز القرآني في البيان العربي)، وبين أن يقال (ظهر هذا الإعجاز في المنطق العربي) (همام، صفحة 26).

ولرفع القلق عن المصطلحات المنطقية التي تعرضت لها جعل ابن حزم يستغل المنهج التقريبي الاختصاري وفق آلية تمكين الأسماء؛ فقد عمل على تصحيحها وفق مقتضى التقريب التداولي العربي الذي حصل فيها من تباين بين الصورة اللفظية والاصطلاحية، واقتضت هذه الآلية أربع عمليات وهي الآتي:

وصل الصيغة الصرفية بالمدلول الاصطلاحي: كانت المصطلحات المنطقية تستعمل فصيحاً في غير محلها، وبهذا تكون قد خرقت القانون اللغوي العربي الذي أريد بها نحو لفظ (الوجود)، والتي أريد بها الموضوعات التي وقع عليها الحدث والجمع منها هو (الموجودات)، فابن الحزم أتى بلفظ يبدله به (العالم) فيقول (ينقسم العالم على أقسام مختلفة) بدل قول (ينقسم الوجود إلى أقسام مختلفة).

وصل المدلول اللغوي بالمدلول الاصطلاحي بناء على القانون اللغوي المعروف "لكل صيغة صرفية مدلول مخصوص" التي لا تطابق مضمونها الاصطلاحي أدى بابن حزم إلى رفع القلق والاضطراب على هذا اللفظ واستخدمه في مدلوله المطابق للفظه وهو اللفظ العادي.

إبدال المصطلحات المتمكنة بالمصطلحات القلقة: كالصيغة التركيبية غير المألوفة (يُقال علي) أو (يُحمل علي)، فيضع ابن حزم مكانها صيغة مألوفة مثل ((يُسمى))، ونحو (الذي في موضوع)، ويستبدلها ابن حزم ب: المحمول، ونحو (الذي ليس في موضوع) ب: (الحامل) الذي يقال على موضوع استبدله ب: (الناعت)، وأخيراً (الذي لا يقال على موضوع)، فيستبدل ب: (المنعوت). وقد يكون المصطلح المنطقي لفظاً مهولاً نحو: (سلجسلموس)، فيستعمل ابن حزم لفظاً أيسر كلفظ (الجامعة).

إنشاء مصطلحات منطقية غير مسبوقة: وتكون عملية الإنشاء الاصطلاحي باليات لغوية تداولية كمقابلة ابن حزم بين ((الذاتي)) و((الغيري))، وخلافاً للمنطقيين ((الذاتي)) و((العرضي))؛ وذلك لسهولة وبساطة هذه الالفاظ كما يقول: (بالفاظ سهلة بسيطة يستوي إنشاء الله في فهمها العامي والخاص والعالم والجاهل) (عبد الرحمن، 2006، صفحة 255) مراعيها فيها انطباق المباني على المعاني التي وضعت لها.

ثانياً: آلية ترسيخ الأمثلة:

ينقل لنا طه عبد الرحمن كيف قام ابن حزم بتقريب المنقول المنطقي إلى المجال التداولي الإسلامي، فقد سلك فيه ابن حزم ثلاث مسالك وهي: (تغيير ترتيب الأمثلة) و (تغيير العناصر) و (استخدام الأمثلة المتداولة).

1- تغيير ترتيب الأمثلة؛ خالف ابن حزم القاعدة اللغوية اليونانية في الترتيب فهي لا تراعي مقتضيات التقديم والتأخير التي اختلف بها التركيب العربي؛ فهي تقدم الاسم الفعل نحو قولهم (زيد مشى) و(زيد يمشي) (همام، صفحة 27)؛ أخذ بقاعدة التركيب اللغوي والذي هو تقديم الفعل على الاسم حتى تكون قرينة مقامية توجب تأخيرها.

2- تغيير عناصر الأمثلة؛ أدى مفهوم لفظ " الرابطة الوجودية" هذا التركيب المنطقي اليوناني استنكره ابن حزم واعتبره خارجا عن ما يقتضيه المجال التداولي الإسلامي فلا وجود لها في التركيب العربي شكلا ولا مضمونا فاستبدله بالجمل الفعلية، وأسقط ذكر الرابطة معبرا عنها بجملة (إيجاب المحمول للموضوع)، وجعل الجملة الخبرية جملة ثنائية وما زاد عنها فمعناه زائد كالرابطة (كان) التي استخدمها المناطق في معنى الربط بين الموضوع والمحمول دالة على النسبة وإنما تدل على الزمان نحو (كان محمد وزيرا).

3- استخدام الأمثلة المتداولة: سعى ابن حزم في تقريبه اللغوي للمنطق من خلال استخدامه لأمثلة منقولة من المجال التداولي الإسلامي؛ فقد فايراده للأمثلة الفقهية التي توافق الأصل العقدي على حساب الأصول الباقية فاهتمامه بالمضمون الفقهي للأمثلة يبين بها أن منفعة المنطق في كتاب الله عز وجل وفي حديث الرسول وفي الفتاوى في الحلال والحرام والمباح والمستحب، وغيرها من أعظم المنافع؛ كالأمثلة على أسماء العلم نحو أسماء الله الحسنى وأسماء الأنبياء مثل سيدنا موسى وسيدنا عيسى وأسماء الملائكة وأسماء الإنس كزيد وعمرو.

والأمثلة الدالة على الأسماء العامة نحو الإبل والخيل والنخل، وأمثلة مشهورة في باب النحو واللغة نحو (قام زيد)، والآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأمثلة مستمدة من الفقهيات كمصطلح الواجب والمباح والمستحب.

إن آلية ترسيخ الأمثلة التي جعلها ابن حزم آلية لإبعاد صفة التجريد عن كل ما له علاقة بالتركيب العربي إن كان شكلا أو مضمونا قد بعثت الروح العلمية التي يختص بها مجال التداول الإسلامي الأصلي، وبهذا تكون مهمة الاختصار بكل آلياتها التي سلكها ابن حزم في تقريبه للمنطق لمجال التداول الإسلامي وفق مقتضيات التقريب اللغوي قد حفظت قوة "الاستعمال" التي بها صارت مناهجه متصلة بأساليب البيان في التركيب العربي.

خاتمة:

تحافظ أي أمة كانت على خصوصية ثقافتها ومعتقداتها، وتدافع عنها من أي اغتراب أو تحريف أو تزيف قد يشوبها، كما هو الحال عند طه عبد الرحمن الذي تيقن أن للأمة الإسلامية مجالا تداوليا خاص بها، ووجب بذلك مراعاته حتى يحصل الحفاظ على أصالة تراث هذه الأمة؛ لأن أي مجال قد يكون عرضة للاختراق من قبل الأفكار والثقافات الوافدة من مجالات مغايرة، وفي سبيل تحقيق هذا الغرض لجأ إلى عملية التقريب التداولي، كون هذا الإجراء العملي قادرا على وصل المعارف المنقولة بالمأصولة، ومن هنا توصلنا إلى نتائج أن:

- يعد مشروع تجديد الفكر الفلسفي الإسلامي العربي للدكتور طه عبد الرحمان من أهم المشاريع الفكرية العربية المعاصرة التي تسعى سعيا جادا وأصيلا إلى بناء مقومات الإبداع والتجديد في الفكر العربي.

- يعتبر وصل المنقول المنطقي وصلا يقوم على تسديد عملي للمنطق استعمالا واشتغالا وإعمالا، فيخرج بذلك المنطق من صفته التجريدية إلى الصفة العلمية وفق مقتضيات القواعد التداولية.

- وكانت لتجربة ابن حزم في تقريب المنطق واختصاره آليات ومنطلقات تمثلت في الآليات اللغوية والتداولية أردت المنطق اليوناني لازما يقتضيه التركيب اللغوي العربي.

- أعاد طه النظر في واقع التفكير عند المسلمين والعرب وأوصى بضرورة حماية كل ماله علاقة بالمجال التداولي الإسلامي.

المصادر والمراجع:

1. عبد الرحمن، طه، (2006)، إشكالية الحداثة في الفكر الإسلامي، مدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، المغرب، المركز الثقافي العربي.
2. جلال، سليمة، (2017)، التأويل وقراءة التراث في مشروع طه عبد الرحمن، قسم الادب واللغة العربية، جامعة الاخوة منتوري قسنطينة، الجزائر.
3. الفراك، أحمد، (2018)، التقريب التداولي وتشغيل المنطق عند الغزالي، الأردن، عالم الكتب للنشر والتوزيع.
4. عبد الرحمن، طه، (2006)، الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي.
5. عبد الرحمن، طه، (2013)، الحوار أفقا للفكر، لبنان، الشبكة العربية للأبحاث والنشر.
6. عبد الرحمن، طه، (1997)، العمل الديني وتجديد العقل، بيروت، المركز الثقافي العربي.
7. عبد الرحمن، طه، (2006)، تجديد المنهج في تقويم التراث، بيروت، المركز الثقافي العربي.
8. بلعقروز، عبد الرزاق، (2009)، تحولات في الفكر الفلسفي المعاصر، أسئلة المفهوم والمعنى أو التواصل، الجزائر، منشورات الاختلاف.
9. الربيع، حمو، (2019)، مدخل إلى فكر طه عبد الرحمن، لبنان، المؤسسة العربية للفكر والإبداع.
10. عبد الرحمن، طه، (2011)، حوارات من أجل المستقبل، بيروت، لشبكة العربية للأبحاث والنشر.
11. عبد الرحمن، طه، (2006)، روح الحداثة، مدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، بيروت، المركز الثقافي العربي.
12. عبد ارحمن، طه، (2009)، قراءة في مشروعه الفكري، بيروت، المركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي.
13. بوشربة، عصام، (بلا تاريخ)، لتقريب التداولي أو في آلية الأسلمة عند طه عبد الرحمن_ تقريب علم الأخلاق نموذجاً، مجلة الباحث العدد 17، ص 175.
14. عبد الرحمن، طه، (2008)، فقه الفلسفة، بيروت، المركز الثقافي العربي.
15. محمد همام. (بلا تاريخ). مفهوم المجال التداولي في المشروع العلي لطة عبد الرحمن، دراسة في جدل التداول والتقريب. مؤسسة مؤمنون بلا حدود دراسات وأبحاث، ص 15.
16. بن عدي، يوسف، (2012)، مشروع الإبداع الفلسفي العربي، قراءة في أعمال طه عبد الرحمن، بيروت، الشركة العربية للأبحاث والنشر.